

الوثائقي في القنوات الفضائية العربية .. واقع وتحديات

د/ خديجة بريك — جامعة باتنة1

الملخص

تتمن أهمية هذه الدراسة في المحاولة الجادة لجعل البرامج الوثائقية محل بحث ودراسة لاستشراف آفاق تطويرها والسبل الكفيلة للنهوض بإنتاج هذا الصنف البرامجي الهام، على اعتبار أن بداية توسيع ونشر ثقافة الوثائقي تكون من المؤسسات البحثية والباحثين والأكاديميين، وتنتهي بتفعيل الصيغ الممكنة لتطوير إنتاج البرامج الوثائقية في القنوات العربية بناءً على ما انتهت إليه نتائج الدراسات الميدانية والنظرية.

حيث تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على واقع الإنتاج الوثائقي في القنوات العربية، كما تسعى لرصد مجمل المعوقات التي تحول دون تطويرها عربياً.

وقد انتهت الدراسة إلى وجود فجوة كبيرة يعاني منها الوثائقي في القنوات الفضائية العربية العامة منها والخاصة وهذا مقارنة بنظيره الوثائقي في القنوات العالمية الكبرى، حيث تحتل الوثائقيات فيها مكانة لا تقل عن تلك التي تتبوأها البرامج الجماهيرية الأخرى، على غرار برامج المنوعات وتلفزيون الواقع والأعمال الدرامية، بل إن تأثيرها قد يكون أكثر أهمية أحياناً، فكم من سبق حققته الكثير من هذه البرامج الوثائقية في الغرب، وكم من برنامج لم يتعد زمنه على الشاشة سويحات قليلة شغل العالم والناس مدة طويلة، إلا أن هذا التواجد والتأثير يغيب في القنوات الفضائية العربية.

الكلمات المفتاحية: البرامج الوثائقية، الفضائيات العربية، الثقافة الوثائقية الإعلام المرئي

Abstract

Documentary programs occupy a major position in the international channels, they are as important as the other popular programs such as talks show; drama and reality television, it can be more effective and their impact may sometimes be more important than the other programs. Many of the documentaries achieved success in the West, although their duration did not exceed a few hours on the screen and attracted the interest of people for a long time but this presence and impact is absent in the Arab satellite TV channels. This study attempts to highlight the reality of documentary production in Arab channels and the obstacles that prevention their development

key words: Documentary programs, Arab Satellite TV, Documentary culture, Visual Media

أولاً: مشكلة الدراسة:

بالتزامن مع بروز القنوات الفضائية المتخصصة إلى جانب القنوات العامة، أصبح السعي مركزاً على تلبية حاجات معينة ومحددة واهتمامات خاصة للجمهور، وأصبحت الشاشة التلفزيونية أشبه شيء بمحل بيع المجالات الذي يقترح على كل مستهلك المادة التي ينتظرها ويميل إليها، وقد أصبح بإمكان المشاهد متابعة قناة تحصر اهتمامها في مجال المطالعة والتعريف بالكتب، وأخرى في مجال الأسفار والرحلات، وأخرى في مجال الطبخ أو الرياضة أو الأفلام أو المنوعات... وتراوحت طريقة بث برامج هذه القنوات بين البث المفتوح والمشفر ليبرز مفهوم جديد هو الدفع مقابل المشاهدة.

وإذا حاولنا إلقاء نظرة على واقع القنوات الفضائية الخاصة بالبرامج الوثائقية، نجد أن الإعلام العربي يكاد يخلو من هذا النوع من القنوات المتخصصة، وما هو موجود يعد على أصابع اليد الواحدة، في حين يشتمل الإعلام الغربي على عدد لا بأس به من القنوات الفضائية الخاصة بإنتاج وبث البرامج الوثائقية. وعلى الرغم من أن الإنتاج الوثائقي في العالم العربي وكذا الغربي لا يقتصر فقط على الفضائيات، بل إن هناك شركات إنتاج خاصة كبيرة ومعروفة في العالمين تعمل على إنتاج البرامج والأفلام الوثائقية، إلا أنه يبقى محدوداً ومحصوراً عربياً وهو ما يقودنا لطرح التساؤلات التالية من خلال هذه الدراسة:

1. ما هو واقع بث وإنتاج البرامج والأفلام الوثائقية في القنوات العربية؟
2. ماهي العوائق التي تواجه القائمين عليها والتي تحول دون تطويرها ضمنياً وتقنياً؟

ثانيا: أهمية الدراسة:

1. تكمن أهمية الدراسة وخصوصيتها في أنها دراسة جديدة تحاول رصد بث الأفلام الوثائقية في القنوات الفضائية العربية العامة والخاصة، خصوصا وأن هناك فجوة واضحة في الكتابات العربية في هذا الجانب، نتيجة تركيزها على مختلف البرامج الدينية والاجتماعية والسياسية بالبحث والدراسة وكذا بالاهتمام بالأفلام الروائية على حساب الأفلام الوثائقية.

2. أنها تساعد على التوصل إلى مؤشرات علمية جديدة ومفيدة وهادفة عن البرامج الوثائقية العربية.

ثالثا: منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة منهج المسح الوصفي وذلك لغرض حصر ورصد المعلومات والمعطيات من أرقام وإحصائيات حول واقع إنتاج وبث البرامج الوثائقية في مختلف القنوات الفضائية العربية العامة والخاصة.

رابعا: مكانة البرنامج الوثائقي في الفضائيات العربية

تناولت "باتريشيا أوفدرايدي" في كتابها "الفيلم الوثائقي مقدمة قصيرة جدا" أهمية الوثائقيات، إذ - وبعد ظهور التلفزيون في الخمسينيات - ظهر تغير حاد في الفرص والتحديات الماثلة أمام المخرجين الوثائقيين؛ فقد كانت الأفلام الوثائقية الأولى تتفد على يد مخرجين؛ أما الآن، فالناس يتدفقون إلى التلفزيون من الإذاعة والصحافة المقروءة، فقد أطلقت قناة بي بي سي برنامجي "تحقيق خاص" (1952-1958) و"بانوراما" الذي لا يزال مستمرًا، وأطلقت قناة "جرانادا تي في"، وهي قناة تجارية بريطانية، برنامج «العالم يتحرك» (1963-1998)، وفي الولايات المتحدة، كان لكل من الشبكات

الثلاث برامج: برنامج- ١٩٦٣ (شاهده الآن) 1951-1958 لشبكة إن بي سي، أعقبه بعد ذلك برنامج "من قريب" لشبكة أي بي سي 1960-1963، وبرنامج "الأركان الأربعة" الذي لا يزال يذاع، ونظرًا لأنها أنتجت في حلقات مسلسل عبر قنوات إخبارية ومعلوماتية كبرى، فقد كانت مثل هذه الأفلام الوثائقية التي تتناول الشؤون العامة تؤكد ضمناً أن الموضوعات التي تغطيها كانت أهم موضوعات الساعة¹. وتحتل مكانة كبيرة لدى الإعلام والرأي العام الغربي.

ففي فرنسا على سبيل المثال أصدر المعهد الفرنسي² إحصائيات تعكس أهمية البرنامج الوثائقي كجزء هام من الإنتاج السمعي البصري، حيث أنتجت عام 2010 ما يقارب 2450 ساعة وثائقية. وقد جنت هذه المبيعات، بحسب الإحصاءات المنشورة في أيلول / سبتمبر من ذات السنة من قبل المركز الوطني للسينما و"تي. في. فرانس أنترناسيونال"، وهي الشركة المكلفة بتصدير البرامج الفرنسية مبلغ 26،4 مليون أورو، أي 13،7% زيادة عن عام 2009. علاوة على كلفة الإنتاج الرخيصة مقارنة بالبرامج التلفزيونية الأخرى.

ويُقَدَّر السعر الوسطي لساعة من الفيلم الوثائقي بـ 150000 أورو، مقابل 850000 أورو للفيلم الخيالي — فالقطاع منتعش جراء التزام القنوات التلفزيونية لاسيما العامة. كما أن مجموعة "فرانس تلفزيون" و"آرتي" تبثان وتشاركان في تمويل حجم مهم من الأفلام الوثائقية، يُبث غالباً في الفترة

¹ - باتريشيا أوفرهايدي: الفيلم الوثائقي، مقدمة قصيرة جداً، ترجمه: هاني فتحي سليمان، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص: 81.

² - أنظر موقع المعهد الفرنسي: <http://www.institutfrancais.com>.

الأولى من السهرة، يضاف إلى ذلك أن الفيلم الوثائقي أصبح الصنف الذي ينال دعماً أكبر من قبل صندوق الدعم المرئي والمسموع التابع للمركز الوطني للسينما الذي وهبه مبلغ 75,3 مليون أورو في 2010، أي بزيادة 9,2% مقارنة بالسنة السابقة.

تعالج هذه الأفلام الوثائقية المقتبسة والمؤلفة جيداً للتلفزيون بفضل تنوع حجمها (26 و 52 أو 90 دقيقة)، تشكيلة واسعة من المواضيع: عالم الحيوان، وفن الحياة، والعلوم أو التاريخ. وتلقى السلسلة الوثائقية "أبوكاليبس"¹ (نهاية العالم) في قناة فرانس 2 الذي حققه المخرجان إيزابيل كلارك ودانييل كوستيل انطلاقاً من صور أرشيف مرممة رواجاً جيداً في المبيعات بشكل خاص، حيث كان القسم الأول المخصص للحرب العالمية الثانية، والذي تم بثه في عام 2009، قد وُزِعَ في 170 بلداً. والقسم الثاني الذي ركز بشكل خاص على الزعيم النازي هتلر بيع لـ 120 بلداً، بحسب مركز التنمية الدولي التابع لـ "فرانس تلفزيون". ويعتبر البرنامج الأكثر تسويقاً من قبل مجموعة "فرانس تلفزيون" بعد برنامج "يُنظر إليها من السماء" لليان أرتوس – برتران.

وفي عام 2012، تطور إنتاج الوثائقي بنسبة 9.8% ليلعب عدد الساعات المنتجة 2921 ساعة مثلت استثمارات بـ 437.9 مليون أورو (12,8%)، كما تطور ثمن إنتاج ساعة الإنتاج بـ 29 % أي 149.9 أورو للساعة الواحدة، وأصبحت نسبة مساهمة القنوات التلفزيونية في الإنتاج الوثائقي 223.3 مليون أورو بنسبة ارتفاع بلغت 18.9 % كما أصبحت

¹ - للاطلاع أكثر، أنظر موقع -le point <http://www.lepoint.fr/actualites-medias/2009-09-09/avec-apocalypse-france-2-se-hisse-au-niveau-de-la-bbc/1253/0/375507> تاريخ الدخول: 2016/8/13، الساعة: 19.41.

القنوات تساهم بنسبة 45 % من قيمة الإنتاج، وارتفعت نسبة طالب القنوات الوطنية المجانية 15.6 % حيث وصلت إلى 1774 ساعة بث عام 2012 أي بنسبة 64.5 % من جملة ساعات البث بكل القنوات.

وقد ساهمت القنوات المجانية الخاصة والباطة بنظام الرقمي الأرضي في ارتفاع الإنتاج، وذلك بنسبة ارتفاع بلغت 58.7 % بين 2011 و 2012، وقنوات الدولة (19%)¹. وقد استهلكت القنوات المجانية الرقمية الأرضية 449 ساعة بث أفلام وثائقية أي بنسبة ارتفاع تُقدَّر بـ 15.4 % أي 19 مليون أورو أي بنسبة 8.5 % من مجمل بث كل السنوات مقابل 188.6 مليون أورو قنوات الدولة التي مثلت استهلاكاً للوثائقي بنسبة 89.5 %. ويكون بث السنوات غير الوطنية 824 ساعة بنسبة 24.8 % أي ما يعادل 35.6 مليون أورو. وتساهم القنوات المحلية في بث الوثائقي بنسبة هائلة بلغت 589 ساعة أي 03 % باستثمار بلغ 8،9 مليون أورو².

وفي مقابل هذه الإحصائيات فإن الوضع في فضائياتنا العربية يختلف تماماً. حيث يرتبط مفهوم البرامج الوثائقية بها بمجرد مساحة زمنية لملء الوقت الفاصل بين نشرة لأخبار ومسلسل السهرة، أو بين برامج المسابقات وفيلم كوميدي، ناهيك عن أن أغلب ما تعرضه الفضائيات من حين لآخر هي برامج وثائقية معادة كان قد جرى بثها في مرات عديدة سابقة، فكم من الزمن مضى على إنتاج آخر برنامج وثائقي تحدث عن استقلال إحدى الدول العربية أو تاريخها ونشأة مجتمعتها المعاصر؟ ولنأخذ الجزائر مثالا.

¹ - عبد الكريم قابوس: الوثائقي والتلفزيون، مجلة الجزيرة الوثائقية، عدد 23 (الوثائقي والتلفزيون) يوليو 2014.

<http://doc.aljazeera.net/magazine/2014/07/20147311020814615.html>

² - عبد الحفيظ الهرقم: مدخل الندوة، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد3، 2003، ص:9.

من جهة أخرى يرتبط اختيار الوثائقي بموقعه في جداول برامج الفضائيات العربية، فالمحطات غير المتخصصة لا تنتج أو تشتري وثائقاً مكلفاً وغالي الثمن إلا فيما ندر، إذ غالبا ما يكون من صميم هوية القناة وإستراتيجيتها السياسية والوطنية، فالمعتمد هو شراء أفلام سبق أن عُرِضت على فضائيات أجنبية أو عربية؛ لأن أسعارها تكون قد تدنّت، وبالرغم من «مصادقية» الأشرطة الوثائقية إلا أن بعض المحطات تجري تعديلات عليها، لا سيما متى تعلّق الأمر بالسياسة والدين والجنس. فالرقابة موجودة حتى على الوثائقيات التي بيعت وما زالت صالحة في البروباغندا والسياسات التوجيهية.

من المعروف أيضا أن الاهتمام الأكبر في الغالبية العظمى من محطات التلفزيونات العربية يعطى للمواد الدرامية؛ لأنها المواد التي تحقق دخلا ماليا للمحطات، إما بشكل مباشر عن طريق التسويق أو بشكل غير مباشر عن طريق جذبها للمعلنين الذين يفضلون إذاعة إعلاناتهم قبل وأثناء إذاعة المسلسلات الدرامية ولو كلفهم ذلك رسوما أعلى.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أنه على المستوى البرامجي تغطي البرامج الحوارية على البرامج الوثائقية في أغلب التلفزيونات العربية، فالبرنامج الحواري يملأ الوقت، كما أنه قليل التكلفة وفوق هذا فإنه يعطي فرصة للمذيع أو المذيع للظهور طوال الوقت على الشاشة واستعراض العضلات الحوارية وذلك أكثر من مجرد قراءة التعليق على لقطات ومشاهد لبرنامج وثائقي، كما أن إنتاج الأفلام والبرامج الوثائقية عالية التكلفة ولا تحقق أي عائد مادي سواء بالتسويق أو بجلب الإعلانات.

هذا بالنسبة للقراءة العامة لواقع الإنتاج الوثائقي في التلفزيونات العربية، أما بقراءة تفصيلية تعتمد على إحصائيات دقيقة وحديثة فتجدر

الإشارة بداية، أنه من غير اليسير علينا أن نحقق مقارنة كمية تشمل أغلب المؤسسات التلفزيونية، نتيجة لمحدودية المعطيات أو غيابها، وكذا عدم الاستعداد لتوفيرها. فعملية التوثيق الإحصائي الذي يمثل الحجر الأساس في عملية تحديد المعطيات الخاصة بواقع إنتاج التلفزيونات العربية للبرامج الوثائقية ومدة بثها، يفرض إرساء الظروف المادية والتقنية والبشرية لخصر ما يبيت من أصناف البرامج الوثائقية حصرا دقيقا، وهذا لتسهيل عملية قراءة ما يبيت.

لقد نظم اتحاد الإذاعات العربية خلال السنوات الأخيرة عدة ندوات دراسية وورشات عمل في إطار العناية بتطوير الإنتاج الوثائقي العربي، وتناولت تلك الندوات بالخصوص، واقع الإنتاج الوثائقي وطرحت قضايا مخاطبة الرأي العام العربي والأجنبي والسبل لعملية النهوض بالإنتاج الوثائقي العربي.

ومن خلال متابعة القنوات الفضائية العربية والدراسات التي قام بها اتحاد إذاعات الدول لعربية وخاصة تلك التي أنجزها سنة 2002 المتعلقة بالإنتاج الإعلامي العربي والتي استندت إليها اللجنة العليا لشؤون الإنتاج الإعلامي العربي التي تعمل في إطار اتحاد إذاعات الدول لعربية، تجلى أن حظ البرامج الوثائقية في الوطن العربي - مع الأسف - قليل وقليل جدا، وهذه البرامج لا تحظى بنفس الاهتمام الذي تحظى به برامج أخرى وخاصة الدراما التي تستهلك جانبا كبيرا من ميزانيات المحطات التلفزيونية.

وحسب هذه الدراسات فإن النسبة تتراوح بين 0.4% و 14% كأقصى تقدير لدى بعض المحطات...إذن فالعالم العربي يعيش مفارقة ازدياد في عدد المحطات التلفزيونية، واتساع كبير لحجم البث، وفي الآن نفسه هناك نسبة

متواضعة بالنسبة لهذا الصنف من البرامج. وفي هذا الإطار يرى عبد الحفيظ الهرقم أنه في ظل التحديات المهنية والسياسية والثقافية تبقى البرامج الوثائقية¹ هي خير وسيلة بالنسبة إلينا كعرب للتعريف بتوجهاتنا الحضارية وبقضايانا العادلة، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، خصوصا أننا نعيش في عصر عولمة وسائل الإعلام والاتصال، والعولمة وإن كانت اقتصادية وتكنولوجية في ظاهرها، فهي ثقافية وحضارية في باطنها، والرهان الخطير الناتج عن هذه العولمة هو الرهان الثقافي الذي لا بد أن نعمل جاهدين من أجل كسبه إذا ما أردنا أن يكون لنا موقع في هذا الفضاء الاتصالي، وأن نكون فاعلين لا مستهلكين، وهذا لا يتأتى إعلاميا إلا من خلال الاهتمام بصنف البرامج الوثائقية².

وفي الدراسة التي قام بها عبد القادر الشيخ حول مكانة البرامج الوثائقية والتسجيلية في البرمجة التلفزيونية العربية سنة 1997، وهي دراسة مقدمة لاتحاد الإذاعات العربية، وقد شملت الدراسة عددا من القنوات التلفزيونية العربية على غرار القناة التونسية، العربية الأردنية، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، قناة التونسية، القناة الأولى السعودية، تلفزيون سلطنة عمان، تلفزيون العراق، التلفزة المغربية، القناة الفضائية السورية، القناة الفضائية المصرية (الأولى)، تلفزيون الجمهورية اليمنية، توصلت هذه الدراسة

¹ - عبد القادر الشيخ: البرامج الوثائقية والتسجيلية في البرمجة التلفزيونية العربية، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد 3-2003، ص: 24.

² - نصر الدين العياضي، يوسف تمار: فن البرمجة، وإعداد الخارطة البرمجية في القنوات التلفزيونية العربية: جدلية التصور والممارسة، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 1428هـ-2007م، ص: 52.

إلى أن البرامج الوثائقية تحظى باهتمام نسبي من قبل المؤسسات التلفزيونية العربية، على أن هذا الاهتمام يختلف نسبيا من مؤسسة لأخرى. فإذا استثنينا ما توفره القناة الأردنية وتلفزيون سلطنة عمان للمشاهد والذي يقارب 14% فإن المبرمج لا يتعدى 4% من مجموع ساعات البث، بل إن نسبة حضور ما هو وثائقي تقل عن 1% في القناة الفضائية المصرية وتلفزيون العراق، على أن أهم ما تجدر الإشارة إليه قلة الإنتاج المحلي واستمرارية الاستيراد. وهذا ما يوضحه الجدول التالي¹:

جدول رقم 1: مجمل البرامج الوثائقية "المحلية والمستوردة" عينة عربية

1997

النسبة المئوية في البرمجة السنوية	العدد بالساعات	القناة التلفزيونية
13.2	18 أسبوعا	الإمارات العربية المتحدة الشارقة
4.53	198.21	القناة العربية الأردنية
0.92	2 أسبوع	قناة التونسية
3.25	5 أسابيع	القناة الأولى السعودية
14.3	389.22	تلفزيون سلطنة عمان
7	24	تلفزيون العراق

¹ - موقع قناة العربية:

<https://www.alarabiya.net/programs/documentaries.html>.

تاريخ الدخول: 11.02.2016، الساعة: 22.00.

12.7	591	التلفزة المغربية
3	26.30	القناة الفضائية السورية
غير محدد	10 أسابيع	تلفزيون لبنان
0.71	1.20	القناة الفضائية المصرية(الأولى)

من أهم الدراسات التي يمكن الاستدلال بها على واقع البرامج الوثائقية في القنوات التلفزيونية العربية، الدراسة التي قام بها كل من نصر الدين العياضي و يوسف تمار تحت عنوان: "فن البرمجة، وإعداد الخارطة البرمجية في القنوات التلفزيونية العربية: جدلية التصور والممارسة، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 1428هـ/2007م. حيث تنزل هذه الدراسة في إطار تنفيذ توصيات اللجنة العليا لشؤون الإنتاج الإعلامي العربي المنعقدة بتونس يومي 12 و13 يونيو/حزيران 2002 والتي نصت بإنجاز بحث حول إنتاج البرامج العلمية والتكنولوجية في الإذاعات العربية، وذلك سعياً إلى تشخيص الواقع الحالي لإنتاج هذه البرامج إذاعياً وتلفزيونياً، ومن ثم التوصل إلى تقديم اقتراحات تساعد على النهوض بهذا الصنف من الإنتاج الإعلامي وتطويره. وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بإنتاج البرامج والأفلام الوثائقية، أهمها:

أن حجم الأفلام الوثائقية والتسجيلية في القنوات الجامعة قد شهد تقلصاً ملحوظاً، فعلى الرغم من أن تكلفة إنتاج الفيلم الوثائقي لا تتعدى 20 ألف \$، أي ما تجنيه القناة التلفزيونية من بث مواد إعلانية لمدة دقيقة و 40 ثانية فقط،

إلا أن المختصين يلاحظون أن معدل ما تبثه القنوات التلفزيونية العربية الجامعة من أفلام وثائقية لا يزيد عن 4% من مجمل مدة البث.

وتؤكد الدراسة أن تراجع البرامج الوثائقية في القنوات التلفزيونية العربية الجامعة، يرجع لتطرق هذه الأخيرة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، لذا تفضل القنوات العربية إنتاج الفيلم الوثائقي ذي الطابع التربوي أو التاريخي، أو شراء الأفلام الوثائقية من الخارج ذات الطابع التربوي التاريخي أو العلمي أو المتعلقة بالحيوانات، حيث لا تثير قضية محلية عربية، ما يؤكد وضع الأفلام الوثائقية في القنوات التلفزيونية الجامعة هو أنها تحشرها بين البرامج التلفزيونية لسد الفراغ.

والجدول التالي يبين البرامج التلفزيونية الخاصة بالقنوات الجامعة، ومن خلاله يمكن أن نستشف مكانة البرامج الوثائقية في عدد من القنوات الفضائية العربية¹.

النوع	أبو ظبي	الإمارات	دبي	الشارقة	الأردن	المصرية	Canal Algéria	2M	المعدل العام
أفلام	11.72	14.86	7.91	0.00	0.33	10.30	5.47	9.7	7.54

¹ - عسلون بن عيسى: مجلة اتحاد الإذاعات العربية بعنوان «وصفة أولية للبرامج الوثائقية العلمية في التلفزيون العربي: أصوات عربية وصور أجنبية...وتوابل أخرى» مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد4، 2002، ص: 48.

25. 35	16. 51	13. 61	9.2 1	21. 01	22. 89	28. 49	45. 17	45. 94	مسلا سلا ت
21. 84	14. 48	13. 18	23. 66	28. 16	28. 34	16. 48	13. 26	1.0 5	البرام ج الإخ بارية
2.5 2	2.8 3	5.2 8	4.8 8	1.3 7	2.1 4	1.1 0	1.1 7	. 0.0 0	ريا ضة
4.8 0	1.8 4	3.4 5	4.6 3	5.3 5	13. 46	3.5 2	4.1 7	0.3 1	برام ج دينية
7.3 4	1.9 4	8.8 1	4.0 2	7.6 1	9.9 4	16. 78	9.6 2	2.4 1	برام ج أطفال ل
1.9 0	0.0 0	0.0 0	9.0 9	5.8 2	0.0 0	0.0 0	0.0 0	1.2 2	فيديو كليب
5.0 4	21. 09	4.8 1	1.9 6	0.0 0	8.3 5	1.2 4	0.4 4	0.0 0	برام ج ثقافية

برام	0.0	1.7	12.	6.7	0.3	3.2	0.0	2.5	3.5
ج	0	5	33	4	3	9	8	2	3
المرأة									
برام	0.0	0.0	0.0	0.0	0.9	0.0	0.0	0.0	0.1
ج	0	0	3	0	9	0	0	0	3
الافتد									
صاد									
علوم	0.0	0.4	0.0	0.0	0.9	0.8	0.0	0.0	0.2
وتكنذ	0	4	0	0	0	5	0	0	2
لوجيا									
طب	0.0	1.7	1.3	1.8	1.7	0.0	00.	0.4	0.9
	0	5	6	3	9	0	66	3	0
برام	0.0	0.0	0.2	0.5	0.9	0.0	4.2	0.0	0.4
ج	0	0	2	1	6	0		0	2
الشباب									
ب									
المسا	0.0	0.0	7.5	3.7	0.0	5.3	0.0	20.	3.0
بقات	0	0	6	6	0	7	0	85	1
آخر	0.0	0.0	0.6	0.0	15.	0.0	0.0	0.1	2.0
ى	0	0	7	0	41	0		9	3
برام	1.9	6.1	2.3	2.0	4.1	2.7	10.	16.	5.7

ج وثائق ية	7	0	1	5	0	8	13	09	0
مسرحية	0.0	1.7	0.0	0.0	1.6	0.0	0.5	1.9	0.7
حياة	0	3	0	0	8	0	4	4	4
مواد هزلية	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	3.2	0.0	0.0	0.4
ة	0	0	0	0	0	9	0	0	1
خا صة	0.0	0.0	0.0	0.0	18.	16.	11.	0.6	06.
	0	0	0	0	19	22	03	5	58

الجدول رقم 2: متعلق بالبرامج التلفزيونية الخاصة بالقنوات الجامعة

كما بينت الدراسة أن البرامج الوثائقية تحتل المرتبة (03) في بنية برامج قناة الجزيرة المتخصصة بنسبة 6% وذلك بعد الأخبار والبرامج الثقافية. إلى جانب ذلك فإن جل البرامج الثقافية التي تبثها القناة ليست من إنتاجها بل تستوردها من مؤسسات أجنبية وتقدمها مدبلجة. وهذا ما يبينه الجدول التالي الخاص ببرامج القنوات الفضائية المتخصصة (الجزيرة).

الجدول رقم 3: خاص ببرامج القنوات الفضائية المتخصصة الجزيرة

النوع	المجموع	المعدل الاسبوعي	النسبة المئوية من مجمل مدة البث
أفلام	0	0	0
مسلسلات	0	0	0

75	4782	19129	البرامج الإخبارية
3	211	842	رياضة
1	90	360	برامج دينية
0	0	0	برامج أطفال
0	0	0	فيديو كليب
3	165	660	برامج ثقافية
2	155	620	برامج المرأة
3	210	840	برامج الاقتصاد
0	0	0	علوم وتكنولوجيا
0	0	0	طب
0	0	0	برامج الشباب
0	0	0	المسابقات
0	0	0	أخرى
6	366	1465	برامج وثائقية
0	0	0	مواد هزلية
7	455	1820	الجزيرة هذا الصباح

من جهة أخرى أكدت الدراسة أن البرامج الوثائقية تحتل نسبة متواضعة في القنوات التلفزيونية العمومية إذ لا تزيد عن 5.70% من مجمل

الوقت المخصص للبث، ولا تختلف هذه النسبة كثيرا عن النسبة المئوية الممنوحة للثقافة في الفضائيات العمومية. كما جاء في الدراسة أن قناة (mbc) التي تسهم في إنتاج الأفلام الوثائقية، إلا أن توقيتها في الشبكة البرمجية يتجاوز ما بعد 11 ليلا بتوقيت السعودية، مما يعكس التوقيت غير المناسب لبث هذه النوعية من البرامج، وبالتالي عدم استقطاب عدد كبير من المشاهدين.

وتظل القنوات التلفزيونية العمومية في دول المغرب العربي أكثر اهتماما بالبرامج الوثائقية، إذ تبلغ نسبتها 10.13% في القناة التلفزيونية الجزائرية، وهذا ما يبينه الجدول التالي الذي يظهر النسبة المئوية التي تحتلها البرامج الوثائقية في القنوات الفضائية العربية محل الدراسة، وهذا مقارنة مع أنواع البرامج التلفزيونية الأخرى.

جدول رقم4: خاص بمعدل النسبة المئوية

لأنواع برامج القنوات الفضائية العمومية العربية.

النوع	أبو ظبي	الإمارات	دبي	الشارقة	الأردن	المصرية	Canal algerie	2M	المعدل العام
أفلام	11.72	14.86	7.91	0.00	0.33	10.30	5.47	9.7	7.54
مسلسلات	45.94	45.17	28.49	22.89	21.01	9.21	13.61	16.51	25.35
البرامج	1.05	13.26	16.48	28.34	28.16	23.66	13.18	14.48	21.84

الإخبارية									
رياضة	0.00.	1.17	1.10	2.14	1.37	4.88	5.28	2.83	2.52
برامج دينية	0.31	4.17	3.52	13.46	5.35	4.63	3.45	1.84	4.80
برامج أطفال	2.41	9.62	16.78	9.94	7.61	4.02	8.81	1.94	7.34
فيديو كليب	1.22	0.00	0.00	0.00	5.82	9.09	0.00	0.00	1.90
برامج ثقافية	0.00	0.44	1.24	8.35	0.00	1.96	4.81	21.09	5.04
برامج المرأة	0.00	1.75	12.33	6.74	0.33	3.29	0.08	2.52	3.53
الاقتصاد	0.00	0.00	0.03	0.00	0.99	0.00	0.00	0.00	0.13
تكنولوجيا	0.00	0.44	0.00	0.00	0.90	0.85	0.00	0.00	0.22
طب	0.00	1.75	1.36	1.83	1.79	0.00	00.66	0.43	0.90
برامج الشباب	0.00	0.00	0.22	0.51	0.96	0.00	4.2	0.00	0.42
المسابقات	0.00	0.00	7.56	3.76	0.00	5.37	0.00	20.85	3.01
أخرى	0.00	0.00	0.67	0.00	15.41	0.00	0.0	0.19	2.03
برامج وثائقية	1.97	6.10	2.31	2.05	4.10	2.78	10.13	16.09	5.70
مسرح	0.00	1.73	0.00	0.00	1.68	0.00	0.54	1.94	0.74

ية									
مواد هزلية	0.00	0.00	0.00	3.29	0.00	0.00	0.00	0.00	0.41
خاصة	0.00	0.00	0.00	0.00	18.1	16.2	11.0	0.65	06.5
					9	2	3		8

خامسا: الوثائقيات في قناة "العربية"

خلافًا لسائر البرامج ثابتة العناوين ومحددة المحتوى، تتميز الأفلام الوثائقية التي تعرضها "العربية" بتنوع محتواها، وتسعى إلى أن تكون رديفًا لهوية القناة في تغطية المواضيع ذات الصلة بقضايا الساعة، وكذلك إلى الإطالة على روح العصر وثقافته وحدثاته في مجالات العلم والتكنولوجيا، ومن خلال ما جاء في موقعها الإلكتروني¹، تخصص "العربية" حصتين زمنيتين لعرض الوثائقيات أسبوعياً، الثامنة مساء بتوقيت غرينيتش يومي الجمعة والسبت، وتبلغ مدة عرض الفيلم ساعة تلفزيونية، كما أن هناك برمجة متحركة لعرض الأفلام التي لا تزيد مدتها عن نصف الساعة.

¹ - يمكن الاستشهاد في هذا الإطار برأي السيد هود بن سيف علوي مدير دائرة البرامج التسجيلية تلفزيون عمان الذي أعرب لمجلة الإذاعات العربية بمناسبة المهران العربي للإذاعة والتلفزيون تونس 1999، عن استغرابه للمستوى المتواضع للأفلام الوثائقية حيث قال: "ما لاحظته من خلال تقييمي للأفلام الوثائقية المشاركة سواء من الهيئات أو الشركات الخاصة أن الفيلم الوثائقي بمفهومه الصحيح لم أجده من خلال النماذج المقدمة، ومرد ذلك أن صناعة الفيلم الوثائقي تحتاج إلى إمكانيات خاصة كما تحتاج إلى نوع من التريث والدقة في إنتاجها، سواء من ناحية اختيار الموضوع والسيناريو وكذلك بالنسبة للتصوير والإخراج والمونتاج وكتابة التعليق. و لا ادري ما سبب الخلط بين الفيلم الوثائقي وبين الريبورتاج أو التقرير التلفزيوني؟" مجلة الإذاعات العربية. عدد4، ص:59.

ويتولى القسم الوثائقي تأمين الأفلام وبرمجتها إما من طريق شرائها وإما عبر إنتاجها، لكن عملية الشراء تفوق الإنتاج عدداً، إذ يصل مجموع الأفلام المشتراة إلى ما يناهز 100 ساعة سنوياً، في حين لا يتعدى سقف الإنتاج 10 ساعات سنوياً، ويتم شراء الأفلام من مصادر عدة تبدأ بأكبر شبكات الإنتاج والتوزيع والبت العالمية - أمثال بي بي سي وبي. بي. أس وأرتي - وتنتهي بأصغر مكاتب التوزيع فيما يتم إنتاج الأفلام بالتعاون مع منتجين ومخرجين مستقلين عرب.

وغني عن القول أن المهرجانات وأسواق الأفلام الموسمية التي تقام في أرجاء عدة من العالم تشكل فرصة فريدة للوصول إلى أحدث الإنتاجات وتأمين حصول "العربية" على أجودها قبل المحطات المنافسة.

وعن واقع إنتاج البرامج الوثائقية العلمية العربية، فقد جاء في الدراسة التي قدمها عسلون بن عيسى لاتحاد الإذاعات العربية بعنوان "وصفة أولية للبرامج الوثائقية العلمية في التلفزيون العربي: أصوات عربية وصور أجنبية...وتوابل أخرى"، وقد جاء في هذه الدراسة أنه لا تخلو قناة عربية من برنامج وثائقي علمي أو أكثر حيث يمكن أن نميز ما يلي¹:

أولاً: برامج وثائقية علمية مستوردة تحمل توقيعاً فرنسياً أو أمريكياً أو ألمانياً أو كندياً مثل: National Geographic - The History Channel - Animal Plane - Channel-USHUA - تتميز بطبيعة الحال من حيث المواضيع والتقنيات العالية المسخرة للتصوير، والإخراج والتعليق.

ثانياً: برامج وثائقية علمية عربية، من إنجاز القائمين على المحطات العربية وهي عبارة عن أفلام تسجيلية ضحلة في حاجة إلى المزيد من التحسن

¹ - نفسه، ص: 50.

والإتقان في كل شيء (سيناريو، تصوير، إخراج، مونتاج، كتابة تعليق، الخلفية الموسيقية...) ¹، أما من حيث الكمية فإن معظم ما تنتجه التلفزيونات العربية لا تستطيع أن تسد حاجة قناة واحدة لفترة محددة، وفي هذه الظروف لا مفر من استيراد البرامج لسد عجزها، وتنعكس سهولة الاستيراد على ترسيخ حالة العجز في الإنتاج العلمي المحلي.

ثالثا: برامج وثائقية علمية مدبلجة توزعها بعض المؤسسات على المحطات التلفزيونية العربية كمؤسسة النشر للأعمال الفنية أو الوكالة الدولية للتوزيع الدولي، أو ك.م للإنتاج أو الشبكة العربية للإنتاج.

وفي هذا الإطار يرى عسلون بن عيسى أنه من مؤاخذات هذه البرامج أنها منفذ لتدفق المنتج العلمي المصور من منابعه الغربية باتجاهنا، حيث تروج لصور مستوردة لا تتلاءم وأوضاعنا: «إذ يظهر فيها الدب القطبي أكثر مما يظهر الجمل والفرس»، ولعله من الإنصاف التذكير بأن هذه البرامج المدبلجة تتفرد بمجهود كبير على مستوى الترجمة وقراءة التعليق من طرف الأصوات المتألقة التي تضيفي بعدا محببا عليها، ويمكننا ذكر بعضها على سبيل المثال: صوت ماهر الآغا، هشام هنيدي، سلامة محاسنة، دنيا الصفدي، زاهية عناب، هشام حمادة وغيرهم.

وقد قام عسلون بن عيسى بمتابعة البرامج الوثائقية العلمية في التلفزيون المغربي من خلال: مدة البث، اللغة، وساعة البث، وتوصل إلى النتائج التالية: أن البرامج الوثائقية العلمية في التلفزيون المغربي تتراوح بين

¹ - على اعتبار أن مصطلح البرامج الوثائقية يشتمل على جميع أنواع الأعمال الوثائقية السينمائية والتلفزيونية، وخصوصا الفيلم الوثائقي السينمائي.

3 مستويات: برامج مدبلجة، وبرامج أجنبية مستوردة، وبرامج من اجتهاد القائمين بالمحطة في حاجة ملحة للمزيد من المراس والحبكة¹.

وتظهر لنا معطيات تحديد ساعة البث أن البرامج الوثائقية لا تتمتع بثبوت موعد بثها حتى تخلق للنظرة عادة المشاهدة، حيث تقدم في أوقات مختلفة (العاشرة صباحا أو الحادية عشر ليلا أو الثامنة والنصف صباحا بالنسبة للقناة الأولى - الثامنة أو التاسعة صباحا أو العاشرة والنصف ليلا بالنسبة للقناة الثانية).

ويوضح هذا الجدول من جملة ما يفضح أن الإنتاج المحلي شبه منعدم، لا شأن ولا معنى له، فالبرامج الوثائقية العلمية تكاد تصير خارج خريطة الإنتاج، راضية باحتياج المادة العلمية المستوردة: قدر محتوم، إن التدفق العلمي وكثافته وسرعته وجاهزيته يصيب الإنتاج المحلي بالإحباط، وهكذا تتفاقم مشكلة الاتكاء على الغير في تأمين حاجتنا الماسة إلى برامج العلوم، وكسر هذه الحلقة يحتاج إلى كفاءات وإلى اهتمام دولي ومؤسساتي لا نرى معالمه.

كما تؤكد المتابعة التي قام بها الباحث من خلال الملاحظة أن وظيفة بعض البرامج الوثائقية تبدو شبيهة لوظيفة "العجلة البديلة" التي يتم اللجوء إليها عند الاقتضاء، كلما حل خلل برامجي بدليل إدراج بعض هذه البرامج منقوصة من جهة وبدون سابق إعلان من جهة أخرى.

وعلى الرغم من هذا الطرح فإن الأمر لا يخلو من بعض المحاولات على الساحة الإعلامية العربية لتطوير إنتاج ودعم مشاهدة البرامج الوثائقية،

¹ - افتتاحية العدد: رهان الإنتاج الوثائقي، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد2، 2007، ص:3.

وهذا من خلال قيام بعض القنوات الفضائية الخاصة في الفترة الأخيرة ببيت البرامج الوثائقية على غرار: الجزيرة الوثائقية، أو بروز شركات إنتاج عربية خاصة بالبرامج والأفلام الوثائقية، كشركة "هوت سبوت" وشركة "نصر للإنتاج الفني".

ويمكن أن ننهي هذه القراءة عن البرامج الوثائقية بجدول يضم القنوات المتخصصة ببيت البرامج والأفلام الوثائقية.

جدول رقم 5 يمثل القنوات المتخصصة ببيت البرامج والأفلام الوثائقية

القنوات المتخصصة ببث البرامج والأفلام الوثائقية.					
البث الرقمي		السوا تل المخ صصة	نوع البرامج الوثائقية بالقناة		القناة
مشفر	مفتوح		متخصص صصة	جامعة	
شبكة راديو وتلفزيون العرب					
X			X		Animal Planet
X			X		Adventure One
X			X		Discovery Science
X			X		National

					Geographic Channel
X				X	CNBC Europe
X				X	ALF/N
X				X	Fox News
X				X	DAWN TV
X				X	Zee News
X				X	Sky News
X				X	CNN
شبكة أوربيت					
X		ARA BSA T	X		Animal Planet
X			X		The History Channel
X				X	Sky News
X				X	CNN International
X				X	Orbit News
X				X	CNBC U.S
SHOWTIME شوتايم					

			X		Discovery Channel
			X		Discovery Channel+ 1
			X		Animal Planet
			X		Discovery Civilization Channel
قنوات سماكوم					
	X			X	NDTV Arabia
	X			X	الآن
مركز تلفزيون الشرق الأوسط					
	X	NILE SAT/ ARA BSA T/ HOT BIRD 5		X	MBC 1
	X			X	قناة العربية
قنوات الجزيرة					

	X			X	الجزيرة
	X			X	الجزيرة انترناسيونال
	X		X		الجزيرة الوثائقية
شركة المجد للبت الفضائي					
X		ARA BSA T3A/ ARA BSA T 2B		X	قناة المجد العلمية
X			X		قناة المجد الوثائقية
	X	ARA BSA T/NI LES AT		X	تلفزيون المستقبل
	X	NILE SAT/ ARA BSA T/		X	شبكة الأخبار العربية (ANN)

		HOT BIRD 4			
	X			X	قناة المنار الفضائية
	X		X		بيئتي
	X	NOO RSA T//NI LES AT			قناة روسيا اليوم
	X	NOO RSA T	X		قناة المعارف
	X				BBC ARABIC
	X				قناة فرنس 24
	X	NILE SAT	X		الوطن العربي
	X		X		قناة النيل التعليمية
	X		X		National Geographic أبو ظبي ناشيونال
	X		X		قناة العراقية 4

					الوثائقية
--	--	--	--	--	-----------

المقصود بالقنوات الجامعة في هذا الجدول هي القنوات غير المتخصصة في بث البرامج الوثائقية، إذ قد تكون قنوات إخبارية خاصة أو قنوات عامة، ولكن تحتل البرامج الوثائقية مساحة في برمجتها.

سادسا: العوائق التي تحول دون تطوير البرامج الوثائقية العربية:

تعد البرامج الوثائقية وسيلة اتصال قائمة بذاتها، حيث تكتسب كافة خصائص الفيلم السينمائي¹ كوسيلة اتصال جماهيرية من حيث التأثير ومن حيث الانتشار. وإذا تم عرضها عن طريق التلفزيون أكسبها ذلك خصائص تجعلها أكثر تأثيرا وأوسع انتشارا، الأمر الذي يتضاعف عدة مرات مع دخول الفضائيات في مجال البث التلفزيوني، حيث تنتسج رقعة المشاهدة من المجال القطري إلى المجالين القومي والدولي، من هنا تبرز الأهمية الإعلامية التي تكتسبها هذه النوعية من الإنتاج سواء كان ذلك داخل الأقطار العربية أو خارجها، لما يمكن أن تقدمه من دعم للقضايا العربية وتقديم صورة موضوعية عن المجتمعات العربية والتعريف بتاريخها وتراثها وحضارتها ومعالمها ونشر إبداعاتها في الداخل والخارج.

فالوثائقيات هي الصنف الوحيد من الإنتاج التلفزيوني المؤهل للدخول إلى الأسواق العالمية في ظرف تتكاثر فيه القنوات الفضائية وتزداد فيه حاجيات هذه القنوات للوثائقيات بشتى أنواعها، شريطة أن تتوفر فيها المقومات المهنية والمضامين الإعلامية أو المعرفية أو الثقافية الطريفة².

¹ - أسعد طه: صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي، الواقع والتحديات، مجلة فصلية يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2، 2007، ص: 39.

² - نفسه، ص: 39.

وعلى الرغم من أهمية البرامج الوثائقية إلا أنها مازالت مضطهدة في التلفزيونات العربية، فالمشاهد لم يعتد هذه النوعية من الأعمال التي تعتبر مادة ثرية تتعاطى مع كبرى القضايا وتوثق مظاهرها وتغطي مساحة هامة من اهتمامات الإنسان، وبناء على الطرح السابق لواقع البرامج الوثائقية في القنوات الفضائية العربية، سنحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على العوائق التي تحول دون تطوير البرامج الوثائقية العربية وهذا للأهمية التي يكتسبها هذا الصنف من البرامج كما ذكرنا.

وفي هذا الإطار يرى الإعلامي **أسعد طه**¹ أن صناعة الفيلم الوثائقي بدأت تشق طريقها في العالم العربي، وهو أمر محمود، غير أن هذا الفن الجميل يواجه مجموعة من العراقيل والمشاكل، لعل أولها وأخطرها هو ندرة الكفاءات العاملة في هذا الميدان: سواء المخرجون أو الباحثون أو المنتجون، ويرى أسعد طه أن المخرج بصفة خاصة باعتباره رب العمل هو المشكل الأهم، فقلما تجد مخرجا في العالم العربي يحمل همّ الفيلم الوثائقي ويؤمن به ويخلص له، وحتى أولئك الذين يعملون في هذا المضمار إنما أجبرتهم ظروفهم على ذلك، بعد أن أغلقت في وجوههم أسواق الأفلام الدرامية.

لذلك تجد مخرج الفيلم الوثائقي - في أغلب الأحيان - يعمل وعيناه على الدراما، ولا يرى في الفيلم الوثائقي إلا سلما يقوده إلى عالم الأفلام الروائية التي تجمعها بالنجوم وتسلط عليه الأضواء. وما يقال عن المخرجين يقال عن كل الكوادر الأخرى الصانعة للفيلم الوثائقي. أما المشكلة الأخرى التي تواجه صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي فهي **ضعف الميزانيات المرصودة**، فميزانية الفيلم الوثائقي العربي لا تزيد في أحسن الأحوال وليس أسوأها عن

¹ - نفسه، ص: 41.

ثلاثين بالمائة من ميزانيات الفيلم الوثائقي في "العالم الآخر"، سواء كان أوروبيا أو أمريكيا أو غير ذلك، والمسألة تعود مرة أخرى إلى ثقافة الكلام، يضيف **أسعد طه¹**، فالمعنيون بالأمر في القنوات والمؤسسات الإعلامية يجدون أن ميزانية البرامج المبنية على الحوارات الحية أو المسجلة متدنية للغاية مقارنة بميزانية الأفلام الوثائقية، وهم باعتبار أن لا خبرة لهم في هذا المجال لا يستطيعون استيعاب حجم الأموال التي تتفق على عمليات التصوير والمونتاج، وبالتأكيد فإن ضعف الميزانيات المرصودة ينعكس سلبا على جودة العمل وعلى رغبة القائمين عليه والمؤمنين به في مواصلة رحلتهم وجهادهم في هذا المجال.

يضاف إلى ذلك **افتقاد آلية لتوزيع** هذه الأفلام، بمعنى أن السوق العربي لا يعرف شركات لتوزيع الأفلام الوثائقية، أو شركات توزيع يكون الفيلم الوثائقي ضمن أعمالها، وبالتالي فعلى منتج الفيلم الوثائقي أن يجتهد بنفسه في خوض غمار السوق لتوزيع عمله، وهو أن يمارس كل مهام صناعة الفيلم الوثائقي، منذ ميلاد الفكرة إلى إنتاجها إلى توزيعها.

وإذا كانت ندرة الكفاءات، وضعف الميزانيات، وفقدان آلية التوزيع هي أهم عوائق الفلم الوثائقي العربي، فإن هناك مشاكل وعقبات أخرى تخص **هويتنا العربية**، سواء كان تصوير العمل وإنتاجه داخل العالم العربي أو خارجه، فسقف الحريات محدود، والرقابة في بعض البلدان مفروضة، بل هناك أيضا الرقابة الذاتية التي يفرضها المخرج أو المنتج على نفسه متخيلا

¹ - هاجر بن نصر: المضامين الوثائقية العربية في ظل التحولات الاجتماعية تجربة نصر للإنتاج الفني والتوزيع مثلا، مجلة فصلية يصدرها اتحاد الإذاعات الدول العربية، العدد 2، 2007، ص:33.

أن سلطات هذا البلد أو ذاك تفرضها، وربما ذلك دون الواقع، أما فيما يخص خارج العالم العربي، فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرضت عقبات وحساسيات في التعامل مع العرب في غير أوطانهم، حتى ولو كانوا يعملون في مجال السينما والفن والإعلام، وحساسيات أمنية وسياسية تحد من تحركاتهم وتقيدها¹.

ومن جهتها ترى **هاجر بن ناصر** صاحبة شركة **(نصر للإنتاج الفني والتوزيع)** أن البرامج الوثائقية في التلفزيونات العربية تواجه مجموعة من العوائق والعراقيل تتمثل فيما يلي:

1. عوائق موضوعية²: إذ أن جل التلفزيونات العربية لم تقتنع تماما حتى الآن بأهمية الأعمال الوثائقية، لذلك فهي لا تقبل ولا تشجع على إنتاجها إضافة إلى وجود صعوبات في ترويجها رغم ندرتها، وهو ما يحكم على هذا النوع من الأعمال بأن يبقى هامشيا أو مهمشا، فهي لا تحظى بتوقيت بث مناسب ومحدد مسبقا ومتواتر بصفة معروفة ومعلومة للمشاهد حتى يتعود على مشاهدتها في مواعيد قارة مثل النشرات الإخبارية أو المنوعات أو الأشرطة الروائية والسهرات الفنية أو الغنائية... بل غالبا ما يقدم الفيلم الوثائقي آخر الليل وخارج أوقات الذروة من حيث المشاهدة، أو لسد فراغ في شبكة البرامج، أو كحل بديل لخلل فني قد يطرأ على بث برامج أخرى مبرمجة أساسا لذلك الموعد. فيحل الفيلم الوثائقي محلها وكأنه زائر غريب أو متسلل على المشاهدين في أوقات هم غير مستعدين لها، أو لا ينتظرونه ولا

¹ - نفسه، ص: 34.

² - نفسه.

يتوقعونه، وبالتالي لا تحصل منها أي فائدة وربما يقلل المشاهد شأسته أو يحولها إلى شبكة أخرى قد لا تكون عربية بالمرّة.

2 . عوائق تتعلق باختيار المشرفين على البرمجة: فالمشرفون على بث البرامج يفضلون بث الكليبات الغنائية أو اللقطات الإشهارية، وفي الآونة الأخيرة وقع الاتجاه إلى تلفزيون الواقع التي تؤمن لهم عددا كبيرا من المشاهدين أو توفر لهم مداخيل مالية بواسطة الإرساليات القصيرة.

3 . عوائق تتعلق بانعدام ثقافة الفيلم الوثائقي في العالم العربي¹: يمكن القول أنه ليس هناك ثقافة للفيلم الوثائقي في العالم العربي حتى الآن، لأنها تشكل مصدر خوف وانزعاج، ولذلك فهي لا تحظى بأي اهتمام، وتبعاً لذلك لا تخصص لها التمويلات اللازمة، ولا تؤخذ بعين الاعتبار عند إعداد الميزانيات، ولا يقر لها حساب في مخططات الإنتاج رغم أهميتها، وكونها في بعض الأحيان غير مكلفة، ويمكن إنتاجها بواسطة طاقم فني محدود وتجهيزات قليلة وبميزانيات بسيطة جداً، مقارنة مع التكاليف الباهظة التي يتطلبها إعداد أو إنجاز غيرها من الأفلام الروائية أو المسلسلات الرمضانية أو حتى السهرات أو الحصص التنشيطية الأسبوعية أو برامج الألعاب أو المسابقات التي تخصص لها أموال طائلة وبدون حساب.

4 . عوائق تتعلق بتقاليد أو روتين معين: والبعض الآخر من هذه الوثائقيات تاريخي ويرجع إلى أحداث قديمة عنها وأنتج عنها الكثير خلال عدة عقود ماضية، مثل الحرب العالمية الثانية، وبعض الأزمات الإقليمية وحتى الأفلام الوثائقية البيئية أو السياحية أو التي تتعلق بالحيوانات والطبيعة، فكلها مستوردة ومُدجّلة، وبالتالي لاتهم المشاهد العربي مباشرة ولا تتطرق لمشاكله

¹ - عسلون بن عيسى: مرجع سابق، ص: 48.

أو مشاغله، وتبعاً لذلك لا تستقطب اهتماماته بصفة كبيرة، لكن الكثير من التلفزيونات العربية تصر على بث مثل هذه الأفلام وكأنها ركن وجوبي في شبكاتها، إما لملء فراغ أو لسهولة الحصول عليها بأثمان بخسة نظراً لقدمها وتآكلها ونزول أسهمها في أسواق البرامج العالمية.

5 . عوائق مادية وعلمية¹: وتتمثل في انعدام الأرشفة المنظم والمتنوع والثري وصعوبة الوصول إلى ما هو موجود منها من طرف منتجي الأفلام الوثائقية في البلاد العربية التي قطع فيها الأرشفة خطوات هامة، فأصبح يجمع كل المصادر العلمية والتاريخية والطبيعية والبيئية والسياسية وغيرها مع سهولة الوصول إليه، واستعماله من طرف كل من يطلبه وخاصة شركات الإنتاج.

ومن النقاط المهمة التي يمكن إضافتها إلى العوائق هي أهمية الحفاظ على التراث السمعي البصري الذي يمثل إحدى عناصر التراث الحديث وإحدى مقومات الذاكرة الجماعية، إلا أن هذا التراث في بعض الأقطار العربية في حالة إهمال واضمحلال، فهو بلا صيانة ولا تنظيم ولا ظروف خزن مناسبة حول المكتبات والخزائن الأرشيفية مفقودة، وبالتالي فإن استغلال مواده داخل القطر وخارجه نادر.

أما عن البرامج الوثائقية العربية العلمية فيرى عسلون بن عيسى² أن معظم الأجهزة السمعية البصرية العربية سيما الرسمية منها، عاجزة عن إنجاز برامج وثائقية علمية وتكنولوجية على شاكلة البرامج العالمية الغربية العالية

¹ - نفسه.

² - عسلون بن عيسى: مرجع سابق، ص: 48.

الجودة لجملة من الأسباب المعروفة والمعلومة والتي يمكن جمعها تحت لازمة الغياب:

- ✓ غياب معدين مختصين لديهم خلفية علمية عريضة وعزم أكيد على طرق المواضيع العلمية المتخصصة.
- ✓ غياب المستلزمات المادية والتقنية، لأن إنجاز هذه البرامج يتطلب هدوءاً فكرياً ووقتاً طويلاً وفريق عمل ومعدات صوتية ومرئية حديثة.
- ✓ غياب الدراية الكافية بإمكانيات التلفزيون (الاستخدام الأمثل للعدسات والمؤثرات الصوتية والحيل الإلكترونية) في تطوير الموضوع العلمي.
- ✓ غياب الإدارة والرغبة في الإنفاق على البرامج العلمية كهدف استراتيجي يحفز الوعي العلمي العربي.
- ✓ غياب/فقر في المواد الوثائقية الجاهزة (صوت، صورة، وثيقة) تكون مستندا لخلفية المواضيع العلمية.

الخاتمة

انتهت الدراسة للنتائج التالية:

1. يرتبط مفهوم البرامج الوثائقية في الفضائيات العربية بمجرد مساحة زمنية لملء الوقت الفاصل بين نشرة الأخبار ومسلسل السهرة أو بين برامج المسابقات وفيلم كوميدي، ناهيك عن أن أغلب ما تعرضه الفضائيات من حين لآخر هو برامج وثائقية معادة كان قد جرى بثها في مرات عديدة سابقة.

2. يرتبط اختيار الوثائقي بموقعه في جداول برامج الفضائيات العربية، فالمحطات غير المتخصصة لا تنتج أو تشتري وثائقاً مكافئاً وغالي الثمن إلا فيما ندر.

3. الاهتمام الأكبر في الغالبية العظمى من محطات التلفزيونات العربية يعطى للمواد الدرامية على حساب البرامج الوثائقية؛ ذلك أنها تحقق دخلاً مالياً للمحطات، إما بشكل مباشر عن طريق التسويق أو بشكل غير مباشر عن طريق جذبها للمعلنين الذين يفضلون إذاعة إعلاناتهم قبل وأثناء إذاعة المسلسلات الدرامية ولو كلفهم ذلك رسوماً أعلى.

4. البرامج الوثائقية تحظى نسبياً باهتمام المؤسسات التلفزيونية العربية المتحدة، إلا أن هذا الاهتمام يختلف نسبياً من مؤسسة لأخرى.

قائمة المراجع

1. أسعد طه: صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي، الواقع والتحديات، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد: 2، 2007.
2. افتتاحية العدد: رهان الإنتاج الوثائقي، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 2، باتريشيا أوفرهايدي: الفيلم الوثائقي، مقدمة قصيرة جداً، ترجمه: هاني فتحي سليمان، ط1، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013.
4. عبد القادر الشيخ: البرامج الوثائقية والتسجيلية في البرمجة التلفزيونية العربية، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد 3-2003.
5. عبد القادر بن الشيخ: البرامج الوثائقية والتسجيلية في البرمجة التلفزيونية العربية: مجلة اتحاد الإذاعات العربية، 2007، عدد 2.
6. عبد الكريم قابوس: الوثائقي والتلفزيون، مجلة الجزيرة الوثائقية، عدد 23 (الوثائقي والتلفزيون) يوليو 2014.

<http://doc.aljazeera.net/magazine/2014/07/20147311020814615.html>

7. عسلوان بن عيسى: وصفة أولية للبرامج الوثائقية العلمية في التلفزيون العربي: أصوات عربية وصور أجنبية... وتوابل لأخرى، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد 4-2002.

موقع قناة الجزيرة الوثائقية: <http://doc.aljazeera.net/about/who/>

أحمد محفوظ: 2010 هي مرحلة جديدة في مسار الوثائقية، متابعات، موقع الجزيرة الوثائقية.

<http://doc.aljazeera.net/followup/2010/01/20101391511470220.html>

موقع ناشيونال جيوغرافيك.

<http://www.nationalgeographic.com/about>